١٢

المهلب بن أبي صفرة وإشكالية نسبه في كتابات الشيخ سيف بن حمود البطّاشي

د. سالم بن سعيد البوسعيدي
معلم أول لغة عربية، وزارة التربية والتعليم
Salem 2226@gmail.com

الملخص:

حضر المهلب بن أبي صفرة في كتابات الشيخ البطّاشي بشكل لافت، وكان للشيخ اجتهادات وآراء حول هذه الشخصية تستحق النظر والتأمل والتقدير. ومن هذا المنطلق جاءت هذه الورقة لتقدم إضاءات في كتابات الشيخ البطّاشي، وإسهامه التاريخي، وكتاباته في شخصية المهلب، وأهميتها، ثم تتناول إشكالية نسب المهلب وموطنه، والعتيك، ووالده أبي صفرة العتكي، وأدلة عمانية المهلب، وأنه أدمي كما ذكره الشيخ البطّاشي في كتبه. وقد توصلت الدراسة إلى أن الشيخ البطّاشي يسوق عددًا من الأدلة القوية على أن المهلب بن أبي صفرة شخصية عمانية من أهل أدم، كان له وجود مؤثر وفاعل في المجتمع العماني.

الكلمات المفتاحية: المهلب بن أبي صفرة. الشيخ سيف بن حمود البطّاشي. أدم.

المقدمة:

مثّلت كتابات الشيخ البطّاشي وتصحيحاته التاريخية إسهامًا بارزًا في المكتبة التاريخية العمانية، بشكل يجعل تجاوزه أمرًا صعبًا. وقد حضر المهلب بن أبي صفرة في كتابات الشيخ البطّاشي بشكل لافت. وكان للشيخ اجتهادات وآراء حول هذه الشخصية تستحق النظر والتأمل والتقدير. ومن هذا المنطلق، تأتي هذه الورقة لتحقّق أمرين مهمين:

الأول: إثارة الاهتمام بكتابات الشيخ وتحقيقاته التي لم ينصفها الجيل بعد، خاصة بما قدمه من تحليلات واستنتاجات وتحقيقات تاريخية مهمّة، قصده منها تنقية التاريخ ومحاكمة الأقوال في ضوء المعطيات المعاصرة.

الثاني: تجلية إشكالية نسب المهلب عن طريق كتابات الشيخ البطّاشي وتحقيقاته، وهي مثال حي لقدرة الباحث النبيه على تبيين الحقائق.

إضاءة عن الشيخ البطّاشي، ومؤلفاته المتعلّقة بالمهلب بن أبي صفرة:

الشيخ سيف بن حمود بن حامد بن حبيب البطّاشي، ولد بوادي الطائيين في ٢٣ رمضان (١٣٤٧هـ / ٢ مارس ١٩٢٩م)، وتوفي عام (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م). وقد نشأ الشيخ في وادي الطائيين وتعلّم فيه القرآن وعلوم اللغة، ثم رحل إلى نزوى والتحق بمدرسة الإمام الخليلي. وجالس الشيخ البطّاشي علماء عصره وباحثهم، ومنهم: إبراهيم بن سعيد العبري (ت١٩٧٥م)، وخلفان بن جميّل السيابي (ت١٩٧٢م)، وسالم بن حمود السيابي (ت١٩٩٣م). ثم رحل إلى زنجبار ومكث بها ثلاث سنوات، تزوّد فيها بالمخطوطات ونوادر المطبوعات، وجالس العلماء.

عمل الشيخ البطّاشي في القضاء عام (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، فعُيّن قاضيًا في جعلان بني بو حسن وضنك وإبراء وقريات والسيب وبوشر ودما والطائيين، ثم عُيّن سنة (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) عضوًا في لجنة تصحيح المخطوطات العمانية، ومراجعة المطبوع منها بوزارة التراث القومي والثقافة مدة ست سنوات. ثم عمل سنة (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) في ديوان البلاط السلطاني في مكتب السيد محمد بن أحمد البوسعيدي -المستشار الخاص لجلالة السلطان قابوس للشؤون الدينية والتاريخية، مصححًا وباحثًا؛ إذ لقي جوًا علميًا مكّنه من التفرّغ للتأليف، وساعدته أعماله السابقة في الاطلاع على كثير من المخطوطات العمانية في وزارة التراث ومكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي.

لقد ترك الشيخ سيف بن حمود البطّاشي مكتبة غنية بالمخطوطات[1]. وتعد كتابات

١) مجموعة باحثين، ٢٠١٣م، **الموسوعة العمانية**، وزارة التراث والثقافة، مسقط، م٥، ص ١٩٤٦-ص١٩٤٧.

الشيخ البطّاشي في مقدمة مصادر تاريخ عمان المعتمدة، ويراها الباحثون أنموذجًا جيدا لاستخلاص المعلومات التاريخية من المخطوطات والوثائق، ومثالاً معتبرًا في إعادة كتابة التاريخ العماني. ومن يطالع مؤلفات الشيخ يكبر في هذا الرجل جديته في البحث، وتقصّيه عن الحقيقة، وشجاعته في إبداء رأيه ولو خالف الاتجاه العام. ويؤكد البحث الحالي على أمرين مهمين يتّسم بهما الجهد العلمي للشيخ البطّاشي، وهما: كثرة التحقيقات التاريخية والتراجم التي قام بها، وعدم التزامه بالنقل فيها، بل كان ينقد ويحقّق مثل عادته. والثاني: اهتمامه البارز بآل المهلب.

وقد وقع اختيار الباحث على ثلاثة من كتب الشيخ بسبب أهميتها للموضوع، وهي:

كتاب تاريخ المهلب وآل المهلب. يقع هذا الكتاب في ٢٣١ صفحة، وهو تراجم لأهم شخصيات المهالبة بدءًا من أبي صفرة، وجاء مزيجًا من التراجم والأدب والاستطرادات على نمط التأليف القديم مع تحقيقات الشيخ.

الطالع السعيد: نبذة من تاريخ الإمام أحمد بن سعيد. ويقع هذا الكتاب في ٤٥٤ صفحة، وهو مخصص في سيرة الإمام الفاتح أحمد بن سعيد مع استطرادات أدبية وتاريخية، وملحق في نسب ألبوسعيد.

كتاب إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان. وهذا الكتاب من أهم كتب التراجم والتاريخ العماني على الإطلاق، وهو مرجع لا غنى عنه للباحث في التاريخ والأدب والحضارة العمانية. ويقع في أجزاء خرج منها ثلاثة، وهمنا الجزء الأول؛ إذ فيه ترجمة أبي صفرة العتكي.

ويمكن إرجاع سبب اهتمام الشيخ البطّاشي بالمهلب وآل المهلب لعدة أمور، هي:

١- قيمة المهلب وآله وأثرهم في التاريخ والحضارة؛ فيقول العوتبي: "لو جعل الله أحدًا يأخذ نصف أحوال المهلب، وخصاله الكريمة، لم يقدر أن يحوي شيئًا من ذلك؛ لأنه ليس من كتاب أُلِّفَ بعده، في أي جنس كان من العلوم، إلاّ وقع فيه من أخبار المهلب وأحكامه وبلاغته وسياسته وجُوده". وقيل عنه أيضًا: "ساد الأحنف بحلمه، ومالك بن مسمع بمحبته للعشيرة، وقتيبة بدهائه، وساد المهلب بهذه

الخلال جميعاً، إلى ما زاد فيها من الكرم والشجاعة والحزم والعفة والعلم".

٢- قلة المصادر العمانية المعنيّة بسيرة المهلب، وقلة اهتمام العمانيين بتاريخهم؛ فيقول البطّاشي: "إذ يجد من يطالع كتب التاريخ وتراجم الرجال، أن رجالاً كثيرين من حملة العلم ورجال الحديث والزعماء هم من أهل عمان نشأوا وعاشوا في خارجها، ولكن اختفى نسبهم الأصلي، فضاع فيما ضاع من تاريخ علماء ورجال عمان نفسها؛ لعدم عناية أوائلهم بالتاريخ فصاروا لا يُعرَفون"[١].

٣- تشتّت أخبار آل المهلب في المصادر العربية؛ فيقول البطّاشي: "أخبارهم لا تجدها متّصلة مجتمعة؛ بل تراها منقطعة ومبعثرة هنا وهناك. ولم أطّلع إلى الآن على تاريخ مستقل في المهلب وآل المهلب يجمع شتات أخبارهم؛ فشمّرت لجمع وترتيب ما اطّلعت عليه"[٢].

٤- كثرة النجباء من العائلة وأبنائهم في السياسة والعلوم؛ يقول البطّاشي: "ربما يظن كثير من الناس أن المشهورين من آل المهلب قليلون لا يتجاوزن عدد الأصابع، والواقع خلاف ذلك، فإن من يطالع كتب التاريخ والسير، وكتب الحديث وتراجم رجال الحديث، يجد أن آل المهلب كثيرون، وأنهم ضربوا في كل فضيلة بسهم، فمنهم حملة العلم ورواة الحديث، ومنهم الوزراء والثائرون في بعض الأحيان، وأدباء وشعراء"[٣].

٥- إشكالية النسب وخاصة مع أسرة البوسعيد؛ يقول البطّاشي: "أقول ينتسب آلبوسعيد في عمان ومنهم الأسرة المالكة التي كانت قد حكمت زنجبار وغيرها من شرق أفريقيا، ينتسبون إلى أبي سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي العماني، وهذا هو المشهور المعروف؛ وعليه فتكون هذه القبيلة واسطة عقد آل المهلب، وإن تأخر بظهورهم الزمن، فقد ارتبط حاضر مجدها التليد بماضيها المجيد؛ بما أنجبته من رجال أفذاذ من علماء وأئمة وملوك وفقهاء وأفاضل وأدباء"[٤].

---

١) البطّاشي، سيف بن حمود، تاريخ المهلب القائد وآل المهلب، مسقط، بلا تاريخ ص١٠-ص١١.

٢) المصدر نفسه، ص ٥-ص٦.

٣) المصدر نفسه، ص ٦.

٤) المصدر نفسه، ص ١٣.

إشكالية نسب المهلب وموطنه:

يناقش البطّاشي نسب المهلب بن أبي صفرة؛ إذ يقول: "والصحيح في نسب أبي صفرة هو ما ذكره ابن الكلبي وغيره، وذكره العوتبي في الأنساب أنه من العتيك"[١]. وتروي كتب التاريخ أنه حينما أراد سامة بن لؤي القرشي الخروج من مكة إلى عُمان، اجتمع إليه وجوه قومه وكرهوا عليه الخروج. فقال لهم: ما تخافون عليّ؟

قالوا: نخاف عليك أن تجاور ذليلا أو تزوج لئيماً.

فقال: آمنوا من الخصلتين.

فلم يستطيعوا ثنيه. فخرج مارًّا بكل البلدان والقفار، تاركًا إياها وراء ظهره قاصدًا عمان، فنزل توام (البريمي). فلما تسامع بوجوده الأزد أتوا للسلام عليه، مرحبين، ومقدّرين، ومكرّمين. ولزيادة الود والقربى خطبوا ابنته هند بنت سامة، فردهم ردا جميلاً، حتى ورد إليه عمران بن عمرو بن عامر ماء السماء بن حارثة ومعه ابناه الحجر والأسد، فخطبها لأحد ابنيه. فوافق سامة وزوّجها للأسد. وكان زواجًا ثمرته ولدٌ فيه خيرة ما في القحطانيين والعدنانيين من الخصال الحميدة، إنّه العتيك. وتكاثر أبناء العتيك، ويبدو أنّ سامة كان سعيداً بإقامته في عمان؛ إذ بعث إلى قومه قريش شعراً" (الرمل):

ساكني الأبطح إني بعدكم ... في جوار الأزد مثلوج الكبدْ

خطب القوم إليّ أختكم ... وهم في الدار أرباب معدْ

فرددتُ القوم لما خطبوا ... رغبةً منهمْ، وزوّجتُ الأسدْ

سيد القوم وباني مجدهم ... ما انتوى في الغرب من بطنٍ أحدْ[٢]

١) نفسه، ص١٧-ص١٨.

٢) نفسه، ص١٤-ص١٥.

ولا شك أن المنطقة التي قطنها العتيك تمتد من البريمي إلى أدم. والقبائل تتحرك وتستوطن. فأبناء العتيك تكاثروا؛ إذ استوطن بعض منهم بهلا وعبري وهم مَنْ خرج من نسلهم النباهنة، واستوطن بعضهم أدم؛ ليكون منهم بعد فترة أبو صفرة العتكي وابنه المهلب بن أبي صفرة. فوالد المهلب هو أبو صفرة العتكي، واسمه ظالم بن سارق، وقيل ظالم بن سراق وقيل ظالم بن سارف[١]. ويرى مجموعة من المؤرخين، ومنهم ابن حجر وابن السكن وابن هشام، أن أبا صفرة صحابي التقى بالرسول ﷺ. ويرى ابن السكن أن الرسول هو الذي كنّاه بأبي صفرة. فيروى أن أبا صفرة قدم على النبي ﷺ بالمدينة كي يبايعه، وعليه حلة صفراء يسحبها خلفه ذراعين، وله طول وجثة وجمال وفصاحة لسان، فلما رآه النبي أعجبه ما رأى من جماله، فقال له: من أنت؟

قال: أنا قاطع بن سارق بن ظالم، أنا الملك بن الملك، فقال له النبي ﷺ: أنت أبو صفرة، دع عنك سارقاً وظالماً، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله، حقاً يا رسول الله، إن لي ثمانية عشر ولداً ورزقت بنتاً سميتها صفرة[٢].

وذكر البطّاشي رواية ثانية يثبتها ابن عبد البر في الاستيعاب، أن أبا صفرة أسلم على عهد النبي ﷺ ولم يره، ووفد على عمر في عشرة من ولده، منهم المهلب، فقال له عمر: "هذا سيد ولدك. والصحيح أن المهلب -ابنه- ولد عام الفتح، أي قبل وفاة الرسول بسنتين"[٣].

وهناك رواية ثالثة ترى أن أبا صفرة من أهل دبا، وكان ضمن الأسرى بعد وقعة ردة أهل دبا، وكان غلامًا صغيرًا حسب رواية الواقدي. ويرد البطّاشي هذا القول مستشهدًا برد ابن قتيبة عن كلام الواقدي: "هذا حديث باطل أخطأ فيه الواقدي؛ لم يكن أبا صفرة في هؤلاء ولا رآه أبو بكر قط، وإنما وفد على عمر وهو شيخ أبيض الرأس واللحية، فأمره أن يخضب فخضب، فكيف يكون غلامًا في زمن أبي بكر وقد ولد المهلب وهو من أصاغر ولده قبل وفاة الرسول بسنتين". وعقب البطّاشي

١) نفسه،، ص١٧.

٢) نفسه، ص١٧، ويرى صاحب الأغاني أن سبب تسميته بأبي صفرة أنه كان يصفر لحيته. ينظر: الأغاني: ج٢، ص٧٦.

٣) نفسه، ص١٨.

قائلا انتهى كلام ابن قتيبة وهو ظاهر الصواب.

ثم يناقش البطّاشي قضيتين مهمتين ضمن السياق: أولا: قضية ردة أهل دبا. ثانيا: ادّعاء أن أبا صفرة من أهل دبا والسبي. ومما يرد هذه الروايات أن عمرو بن العاص حين قرر مغادرة عمان للالتحاق بالمدينة بعد وفاة الرسول ﷺ، فأبى الأزد إلا مرافقته عرفانًا لجميله، وتعزية للخليفة أبي بكر، وإظهارًا للولاء للدولة الراشدة في المدينة، وحماية له من قطّاع الطرق والمرتدين في ظل الاضطرابات التي شاعت بين القبائل بعد وفاة الرسول، فصحبه وفد أزدي رفيع المستوى يرأسه عبد بن الجلندى أحد ملكي عمان، وجعفر بن جشم العتكي، وأبو صفرة سارق بن ظالم العتكي، ومعهم سبعون فارسًا، وحين وصلوا المدينة بايعوا أبا بكر، وقد تحدث أبو صفرة نيابة عن العمانيين (وهو أيضا مما يظهر مكانة الرجل تقدمه)؛ إذ قال للخليفة: "يا خليفة رسول الله ﷺ، ويا معشر قريش: هذه أمانة كانت في أيدينا وفي ذمتنا ووديعة لرسول الله ﷺ، وقد برئنا إليكم منها. فقال أبو بكر "جزاكم الله خيرا"[١].

وقد ذكر البطّاشي إسهام أبي صفرة في الفتوحات الإسلامية؛ إذ تروي المصادر أنه لما ولى عمر بن الخطاب عثمان بن أبي العاص (عام ١٥هـ) على عمان أمره بمقابلة الفرس، فطلب عثمان المشاورة من أهل عمان فدلّوه على أبي صفرة (مما يدل على مكانة الرجل وخبرته وقوته ومعرفته بشؤون البحر)، فسأله عن اسمه، فقال: ظالم بن سارق، فكره عثمان الاسمين، وقال: اسمان من أسماء الجاهلية ولم يشاوره.

ولما جهّز عثمان بن أبي العاص الجيش، كان أبو صفرة أحد رؤساء ذلك الجيش؛ إذ كان رئيسا وقائدًا لقوة من قومه بني عمران. "وأبلى في الجهاد بلاءً حسنًا واشترك في قتل (شهرك) قائد الفرس[٢]. وبعد الحملة استقر أبو صفرة بتوَّج بمن معه من الأزد، ثم نزل البصرة، وكان منهم كعب بن سور الذي عيّنه الفاروق

١) المعولي، أبو سليمان محمد بن عامر، قصص وأخبار جرت في عمان، عمان، ١٤٢٨هـ، ص ٨٢ص٨٣.
٢) البطّاشي، المرجع السابق، ص٢٣.

عمر قاضيًا على البصرة[١]. وروي أن أبا صفرة وفد على عمر بن الخطاب ومعه عشرة من ولده، المهلب أصغرهم، فجعل عمر ينظر إليهم و يتوسمهم، ثم قال لأبي صفرة: هذا سيد ولدك، يعنى المهلب[٢]. ثم خرج أبو صفرة في جيش عبد الرحمن بن سمرة عامل الخليفة عثمان على سجستان ومعه ابنه المهلب[٣]، وبعد معارك عنيفة انتصر المسلمون وفتحوا سجستان. بعد ذلك عاد إلى البصرة، وكانت عودته بعد واقعة الجمل بثلاثة أيام، وقد ظهر الإمام علي، والتقى الإمام عليًّا الذي قال له: "يا أبا صفرة ما لقيت من أحد مثل الذي لقيته من قومك، فقال أبو صفرة: والله يا أمير المؤمنين لو كنتُ حاضراً ما اختلف عليك منهم سيفان. فدعا له وولاّه نرتيرت ومناذرة الكبرى، وولاّه أيضاً رئاسة الأزد، وقال: ائتني ببعض ولدك لأعقد له لواءً يكون شرفًا له، فجاء بالمهلب بعد أن كره ابنُه النجفُ الذي قال: ما كنت لآتي رجلاً جعل قومي أقل العرب، وقتل منهم بالأمس ألفين وخمسمائة رجل على غير ذنب. فتركه وعدل إلى المهلب وهو غلام ابن نيف وعشرين سنة، فعرض عليه الأمر فأجاب، فدخل على الإمام علي فمسح مقدم رأسه إلى قدميه، ومن ذوابته إلى عقبيه، وعقد له راية وقال: اللهم ارزقه الشجاعة والسخاء والنهى. واعقد له راية الأمان، وأمره أن يسير نحو الأهواز والبادية لأمنهم، وأمرهم أن يرجعوا لمنازلهم، ورجع معظم الفارين إلى البصرة وتيمّن الناس براية المهلب[٤]. وقد توفي أبو صفرة بالبصرة في أيام ولاية ابن عباس عليها لعلي ابن أبي طالب، وصلى عليه ابن عباس وقال: "دفنّا سيد هذه الثغرة"[٥].

أدلة عمانية آل المهلب:

يقول الشيخ البطّاشي: "مما لا شك فيه أن آل المهلب عمانيون حيثما حلّوا، وأينما كانوا، وإن نشأوا في العراق أو خراسان أو غيرهما، فالهجرة والخروج من

١) المصدر نفسه، ص ٣٤.
٢) المصدر نفسه، ص ١٨.
٣) المصدر نفسه، ص٢٥.
٤) المصدر نفسه، ص ٢٥
٥) المصدر نفسه، ص ٢٥

بلد إلى آخر كثير في القبائل والبيوتات"[١]. فبهذه العبارة الحازمة يصدّر الشيخ كلامه عن موطن المهالبة، ويورد دلائل تاريخية مهمة تثبت عمانية آل المهلب منها:

١- كان الحجاج بن يوسف الثقفي يقول ليزيد بن المهلب: يا مزوني؛ أي يا عماني؛ لأن عمان كانت تسمى مزونًا[٢].

٢- سمع مسلمة بن عبد الملك رجلاً من أهل الشام يقول: ماذا لقينا من ابن حائك كندة -يعني ابن الأشعث- ثم أنساناه هذا المزوني، يعني يزيد بن المهلب؛ وذلك بعد وقعة العقر ببابل وقتل آل المهلب. ولما سمع مسلمة كلام الرجل قال له: اسكت فوالله لولا حسد العرب له ومشي فارس قريش إليه[٣] ما كان خليفتك غيره.

٣- ومن أدلة ذلك قول الكميت في المهلب:

وأمـــا الأزد أزد أبـــي سـعيدٍ فـأكـره أن أسـمـيـهـا المـزونـا[٤]

٤- وقول جرير فيهم:

وأطـفـأت نـيران المـزون وأهـلـهـا وقـد حـاولـوهـا فـتـنـة أن تسعّرا

ولم تـبـق مـنـهـم رايـــة يـرفـعـونـهـا ولم تبق من آل المهلب عسكرا[٥]

٥- ومنه قول عمر بن عبد الله الأنصاري عامل عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، على عمان، لما أراد الخروج من عمان بعد موت عمر قال لزياد بن المهلب: "هذه بلاد قومك فشأنك بها"[٦]

٦- ويقول نور الدين السالمي في وصف أهل عمان: "ولهم السياسة التي يحار في

١) المصدر نفسه، ص ٨.
٢) المصدر نفسه، ص٨-ص٩.
٣) يعني نفسه.
٤) المصدر نفسه، ص ٩.
٥) المصدر نفسه، ص ٩.
٦) المصدر نفسه، ص ٩.

وصفها الواصفون، وناهيك بسياسة المهلب بن أبي صفرة وحربه وشجاعته فإنه كان من أهل عمان"[1].

- ولما هجا أبو عيينة المهلبي -وهو أحد أحفاد المهلب- نزارًا، وفضّل عليها قحطان، ردّ عليه أحد الشعراء قائلا:

أعبد من عبيد عمان عاب مناقب السبط

أتهجو الغر من مضر كفى هذا من الشطط

وحين بلغ المأمون هجاؤه لنزار أهدر دمه، فهرب من البصرة إلى عمان، فلم يزل متواريًا في الأزد حتى مات المأمون[2] وهذا يثبت عمانيتهم. إضافة إلى ما سبق، هناك دلائل أخرى تثبت عمانية آل المهلب منها: خطابات الحجاج للمهلب، وفيها يذكره بقوله: "واخترتك وأنت من أهل عُمان". وفي عهد الإمام الوارث بن كعب قام المهالبة بمراسلة أهل عمان وإخبارهم بأمر حملات هارون عليهم فاستعدوا لها.

أدلة أن موطن المهالبة مدينة أدم:

ويرى الشيخ البطّاشي أن المهلب ليس من أهل دبا، بل من أدم؛ مستندا على أمور أهمها:

١- لم يرد ذكر أبي صفرة في حادثة الردة، مع أنه سيد بني عمران، ولم يذكره علماء أهل عمان وهم أدرى ببلدانهم. لا بد لسيد بني عمران لو كان في دبا وهو أبو صفرة أن يكون له موقف من اثنين: إما مناهضة سوء الفهم الحاصل، أو الوقوف معه، وهو ما لم تذكره كتب التاريخ، بل تذكر أنه كان في الوفد العالي الذي التقى أبا بكر، وكان خطيبهم.

٢- كان لحبيب من المهلب حروب بعمان، ومنها معركة في سيجا، فأين سيجا من دبا؟[3]

١) المصدر نفسه، ص ٨.

٢) المصدر نفسه، ص١٠.

٣) المصدر نفسه، ص ٣٩٦.

٣- لهم بأدم بقية، ولهم بها آثار قديمة تشهد بنشأتهم ووجودهم بها منذ زمن بعيد منها:

- مسجد المهلبية الذي بنته هند بنت المهلب بن أبي صفرة، يقع غرب حجرة الجامع التي تعود لآل أبي سعيد. وذكر هذا المسجد الشيخ العالم سالم بن حمد البراشدي الأدمي المعاصر للإمام بلعرب بن سلطان اليعربي، وذكره كذلك الشيخ العالم درويش بن جمعه المحروقي في قسمة وقف بير الراكيمية[١].
- ويوجد بحجرة آلبوسعيد مسجد الجامع الذي بناه الشيخ أبو الحسن محمد ابن نوح الأزدي على نفقته الخاصة سنة ٧١٧هـ.
- وبحجرة الجامع نشأ الإمام أحمد بن سعيد. فالبوسعيديون هم أحفاد آل المهلب.

أحفاد المهالبة في عمان:

يرى الشيخ سيف بن حمود البطّاشي أن نسب آلبوسعيد يرجع إلى المهلب فيقول: "أقول ينتسب آلبوسعيد في عمان، ومنهم الأسرة المالكة التي حكمت زنجبار، وغيرها من شرق أفريقيا ينتسبون إلى أبي سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي العماني، وهذا هو المشهور المعروف، وعليه تكون هذه القبيلة هي واسطة عقد آل المهلب وإن تأخر بظهور دولتهم الزمن فقد ارتبط حاضر مجدها التليد بماضيها المجيد بما أنجبته من رجال أفذاذ من علماء وأئمة وملوك وفقهاء وأفاضل وأدباء"[٢]. ويقدم على ذلك عدة أدلة:

١- سمعت الشيخ العلامة محمد بن شامس البطّاشي يقول إنه سمع الشيخ سعيد ابن محمد بن مسعود البوسعيدي من أهل منح يقول: "آل بوسعيد يتصل نسبهم بالمهلب" والشيخ سعيد هذا رجل عارف نسّابة[٣].

١) البوسعيدي، حمد بن سيف، الموجز المفيد نبذ من تاريخ البوسعيد، ص٨.
٢) المصدر نفسه، ص١٣.
٣) المصدر نفسه، ص ١٣.

٢- وأخبرني الشيخ محمد أيضا أن المهلب من أهل أدم[١].

٣- ذكر نسب البوسعيد القاضي حمد بن سيف بن محمد البوسعيدى في كتابه الموجز المفيد "نبذ من تاريخ البوسعيد"، ونسبهم إلى الأزد من سلالة المهلب بن أبي صفرة العتكي الأزدي[٢].

٤- كما ذكرهم المؤرخ والأديب الشيخ سليمان بن خلف بن محمد الخروصي في كتابه ملامح من التاريخ العماني. ونسب آل بوسعيد إلى الأزد، وقال عن أول سلطان هو أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد بن خلف بن سعيد بن مبارك البوسعيدي، ثم رفعه إلى القائد العماني المهلب بن أبي صفرة.

٥- قال الشيخ محمد بن شامس البطّاشي في كتابه سلاسل الذهب:

نسبتهم إلى المهلب العلم ... نجل أبي صفرة والطود الأشمّ
وهو الذي يكنى أبا سعيد ... كذا روى لنا أولو التمجيد[٤]

ويقول:

ولا أرى صواب ما قال به ... بعض أولي العلوم في كتابه
حيث غدا ينسبهم إلى خلف ... نجل أبي سعيد العالي الشرف
فخلف المذكور في التعيينِ ... كان بحادي العشر من قرون
أيام أملاك بني نبهانا ... المتأخرين في عمانا
وأل بوسعيد قد تكوّنوا ... من قبل ذلكم وقد تبيّنوا
وانتشروا على عمان من قدم ... في منحٍ ونزوةٍ وفي أدمْ
وسمد وغيرها من القرى ... وذاك واضحٌ يراه من يرى

٦- يرد الشيخ على من نسب البوسعيد إلى خلف بن أبي سعيد، وسيف بن محمد ابن أبي سعيد، فذكر أن هذين الرجلين هما نبهانيان، عاشا زمن النباهنة المتأخرين، في النصف الثاني من القرن العاشر، وأوائل القرن الحادي عشر.

١) يقصد الشيخ محمد بن شامس البطّاشي، نفس المرجع، ص١٣.
٢) البطّاشي، سيف بن حمود، الطالع السعيد، مسقط، بلا تاريخ، ص٣٩٦.

أما البوسيعد فهم منتشرون في بقاع لا تحصى من عمان، فيستبعد أن يبتدئ أصل كل هؤلاء من فرد في أوائل القرن الحادي عشر، وهم موجودون بعمان قبل ذلك[١] والأمر الثاني: آثار بعض أعلامهم يرد على ذلك، مثل كتاب "زاد المسافر في الرد على من جاء يناظر" للشيخ سليمان بن بلعرب بن محمد بن بلعرب بن أبي القاسم بن يزيد بن محمد بن يعرب بن أبي بكر بن دهمان بن أبي سعيد البوسعيدي الحممتي، والكتاب منسوخ سنة ١٠٨٥م، أيام الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي، وأيضا كتاب "خلاصة الآثار" بخط الشيخ بلعرب بن أحمد بن سليمان بن عزان بن سعيد بن يزيد بن محمد بن يزيد بن يعرب بن أبي بكر بن دهمان بن أبي سعيد البوسعيدي الحممتي البوسعيدي، والي الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي على قريات، وقد ذكر المؤلف الأول أحد عشر أبًا، والثاني ثلاثة عشر أبًا لهما، فمن أمعن النظر في مقدار حياة المذكورين عرف بمقتضى التاريخ أن البوسعيد ليسوا من ذرية خلف أو أخيه محمد بن أبي سعيد، بل أقدم منهما بكثير، كما أنهما لم يذكرا ضمن هذا النسب[٢].

ملامح من حياة المهلب بن أبي صفرة:

ولد المهلب عام الفتح سنة تسع للهجرة؛ وذلك تناسبًا مع قولهم أنه عاش ثلاثًا وسبعين سنة؛ إذ أنهم أرّخوا وفاته عام ٨٢هـ وقيل ٨٣هـ. وعدّ بعضهم المهلب من الصحابة، وهذا لا يستقيم مع تاريخ وفاته المذكور[٣].

وعندما خرج المهلب مع والده في جيش عبد الرحمن بن سمرة عامل الخليفة عثمان بن عفان على سجستان وكان عمره عشرين سنة[٤]، استصغره عبد الرحمن فأراد أن يرده فقال: أصلح الله الأمير إني رغبت في الغزو فلا تكرهن ما ترى من حداثة سني عن وجهي. فقال له عبد الرحمن: والله لولا ما تحتك ما

١) نفسه، ص٣٩٦.
٢) المصدر نفسه، ص ٣٩٨-ص٣٩٩.
٣) البطّاشي، سيف بن حمود، تاريخ المهلب القائد وآل المهلب، ص٢٧.
٤) المصدر نفسه، ص ٢٩.

أذنت لك في الغزو. وكانت تحته فرس رائعة[١]. كما شارك المهلب في فتح كابل، وكان أحد فرسان الجيش، إن لم يكن أوفاهم حظًّا بالإشارة يومذاك، فقد استطاع بشجاعته مقارعة أحد فرسان كابل الذي لم يبرز له أحد من المسلمين إلا صرعه، فاعترضه المهلب وطعنه طعنة شديدة[٢]. وعندما عاد إلى البصرة مع والده بعد وقعة الجمل بثلاثة أيام، التقى أبو صفرة الإمام عليًّا الذي قال له: ائتني ببعض ولدك لأعقد له لواءً يكون له شرفًا. فجاء بالمهلب وهو غلام ابن نيّف وعشرين سنة فعرض عليه الأمر فأجاب، فدخل على الإمام علي فمسح مقدم رأسه إلى قدميه ومن ذؤابته إلى عقبيه وعقد له راية وقال: اللهم ارزقه الشجاعة والسخاء والنُهى. وعقد له راية الأمان، وأمره أن يسير نحو الأهواز والبادية لأمنهم، وأمرهم أن يرجعوا لمنازلهم ورجع معظم الفارين إلى البصرة وتيمّن الناس براية المهلب[٣].

وحين ولّى معاوية أخاه زيادًا العراق، ثم جعل على خراسان الحكم بن عمرو الغفاري على أرض الهند سنة أربع وأربعين، غزا هراة وفتح الجوزجان، كان المهلب بن أبي صفرة مشاركًا في تلك المعارك، وأظهر بأسًا ومهارة في قتال العدو؛ إذ استطاع أن يقتل الفيل بعد أن أخاف جيش المسلمين. وحين رجع المسلمون أصابهم البرد والثلج، فجعل العدو يتعقبهم ويقتل منهم، مما جعل المهلب يتأخر في ساقة الجيش لحمايته. وكان المهلب يحمي الجيش، ويعالج الجرحى، فبلغ معاوية شجاعة المهلب، وكان معه سعد بن أبي وقاص، فقال سعد: اللهم لا تُرِهِ ذلاً أبدًا وأكثر ماله وولده[٤].

وحين غزا الحكم بن عمرو الترك عام ٤٧هـ كان المهلب أحد قادة حملته؛ بل وحين حاصر الترك الحكم أسند قيادة الجيش للمهلب الذي تمكن عن طريق الحيلة من أسر أحد زعماء الترك ليدلّه على مخرج الكمين[٥]، مما جعل كل ولاة خراسان يتمسكون بالمهلب. ففي عام ٥٦هـ فتح سعيد بن عثمان بن عفان

١) **المصدر نفسه**، ص ٢٩. والفرس من خيول عمان.
٢) المصدر نفسه، ص ٢٩.
٣) المصدر نفسه، ص٣٠.
٤) المصدر نفسه، ص٣٠-ص٣١.
٥) المصدر نفسه، ص ٣١-ص٣٢.

سمرقند، وكان أحد أبرز قادته المهلب. وفي تلك الغزوة قلعت عين المهلب كما قلعت عين سعيد وعين طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة الطلحات المشهور بالكرم والجود، وفي ذلك يقول المهلب:

لئن ذهبتْ عيني لقد بقيت نفسي وفيها بحمد الله عــن تلك ما ينسي

إذا ما جاء أمر الله أعيا خيولنــا ولا بد أن تعمى العيون لدى الرمس[١]

وأصبح المهلب قائد جيش سلم بن زياد الذي ولاّه يزيد بن معاوية في عام ٦١هـ ولاية خراسان وسجستان[٢]. وحين مات يزيد ولم يبايَع خليفةٌ من بعده اضطربت أمور خراسان فخرج سلم خائفًا، واستخلف عليها المهلب، غير أن ذلك لم يعجب القبائل القيسية؛ إذ وجد سليمان بن مرثد سلمًا وهو عائد في طريقه، فقال له من ولّيت على خراسان، فقال له المهلب، فامتعض وغضب، وكذلك عبدالله ابن خازم السلمي قال لسلم: من تركت على خراسان؟ فقال: المهلب، فقال له غاضبًا: أما وجدت في مضر رجلاً تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر بن وائل ومزون عمان، وطلب منه أن يكتب له كتابًا على ولاية خراسان. فرأى المهلب أن الأمور غير مستقرة ومنصب الخلافة شاغر، فهداه عقله أن يعتزل الأمر ويعود للبصرة؛ إذ تدخل خراسان في حروب قبلية[٣].

وحين بويع عبدالله بن الزبير خليفة في الحجاز والعراق وتلك النواحي، أرسل إلى المهلب يطلب منه القدوم إليه، وهو يومئذ بمكة، فخلا به عبد الله يشاوره، فدخل عليه عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب القرشي الجمحي فقال: من هذا الذي قد شغلك يا أمير المؤمنين يومك هذا؟ قال: أو ما تعرفه؟ قال: لا، قال: هذا سيد أهل العراق، قال: فهو المهلب بن أبي صفرة، قال: نعم، فقال المهلب: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا سيد قريش، فقال: فهو عبد الله بن صفوان، قال: نعم[٤].

١) المصدر نفسه، ص ٣٢.

٢) المصدر نفسه، ص٣٢-ص٣٣.

٣) المصدر نفسه، ص ٣٣-ص٣٤.

٤) المصدر نفسه، ص ٣٤.

وقلّد عبدالله بن الزبير المهلب ولاية خراسان، لكنه في الطريق إليها اعترضه أهل البصرة بتزكية من الأحنف بن قيس طالبين منه حمايتهم من خطر الأزارقة الذين يحاصرون البصرة، قائلين له: "أنت شيخ الناس وسيف العراق، وقد ترى ما فيه أهل مصرك من هذه الخوارج المارقة والإقامة في بلدك والذبّ عن حريمك أولى من خراسان"[١]. ثم وصله كتاب ابن الزبير وفيه: " لقد رأيت أن تكون أنت من تلي قتالهم؛ لأنك ميمون الطلعة مبارك على أهل مصرك"[٢]. فدارت بين المهلب والخوارج الأزارقة معارك عنيفة طويلة استمرت إلى وقت مقتل مصعب ابن الزبير على يد الأمويين. والحقيقة، لم يكن المهلب يهمه من هو الخليفة، فلا هو مقتنع بمعاوية ولا ابنه ولا عبد الملك، غير أنه يحب الفتح والغزو والجهاد لنشر الإسلام؛ وذلك ما جعله محل احترام الجميع. ويبدو أن المهلب كان يحب أن يواصل الجهاد وقتال الأزارقة، فأعلن البيعة لعبد الملك بن مروان الذي شكره وأفرده على ولاية الولايات التي تحت يده.

ويستمر المهلب في عهد عبد الملك بن مروان في قتال الأزارقة منذ سنة ٧١ إلى سنة ٧٧هـ. وكان المهلب وآله موضع حسد لكرمهم وشجاعتهم وانتصاراتهم المتتالية، وكانت الخلافة الأموية تعلم أنه لا أحد بمقدوره الانتصار على الأزارقة إلا المهالبة. ومن أبرز الحاسدين لهم الحجاج بن يوسف والي العراق الذي كان يستفز المهلب، والمهلب يداريه حتى حقق النصر النهائي على الأزارقة [٣]. وبعد هزيمة المهلب للأزارقة أصبح المهلب والي خراسان حتى أدركته الوفاة هناك.

ترك المهلب ٢٣ ابنًا ذكرًا وإحدى عشرة بنتًا، وهم سعيد، وكان أكبرهم وبه يكنى المهلب، قيل ولا عقب له، وعده بعضهم من أهل الحديث، وقد روى عن سعيد ابن جبير وعنه الفضل بن القاسم الحدّاني. قال الحافظ ابن حجر ذكره ابن حبان في الثقات، وزعم أنه ابن المهلب بن أبي صفرة. ومن أولاد المهلب: المغيرة وقبيصة ويزيد وحبيب والحجاج والبحتري والمفضل وعبدالملك وعمر وأبو عيينة وجعفر

١) المصدر نفسه، ص٣٤.

٢) المصدر نفسه، ص ٣٤.

٣) أخبار المهلب وحرب الخوارج أفرد لها البطّاشي صفحات كثيرة. ينظر: البطّاشي، سيف بن حمود، تاريخ المهلب القائد وآل المهلب، ص٣٤ص٧٢

وعطاء ومدركة ومروان وزياد وعباد ومعاوية وعبدالله ومحمد وشبيب والشماخ[١].

معالم شخصية المهلب بن أبي صفرة:

كان المهلب بن أبي صفرة يتمتع بكثير من الصفات الحميدة منها: الشجاعة والقدرة الفائقة على القتال، وإدارة المعارك بكفاءة منقطعة النظير، إضافةً إلى العلم والحكمة والحلم والكرم والبلاغة، ويمكن القول أن الشيخ البطّاشي لم يعتنِ كثيرا بهذه النقطة، وإنما يمكن تبين بعض من معالم شخصية المهلب من خلال ذكره المواقف الآتية:

الشجاعة:

ومن المواقف الدالة على هذه الخصلة، حين ولّى خالد بن عبدالله على البصرة أراد عزل المهلب عن حرب الأزارقة، فأشار عليه الناس ألا يفعل[٢]، فلم يسمع لهم وجعله على الجباية وولّى أخاه عبد العزيز على القتال، فهزم، فقال خالد للمهلب ما ترى أمير المؤمنين صانعًا بي؟ قال يعزلك، قال أتراه قاطعًا رحمي؟ قال: نعم، قد أتته هزيمة أمية أخيك ففعل؛ يعني هرب أمية من سجستان فكتب عبد الملك إلى خالد: أما بعد، فإني كنت حددت لك حدًّا في أمر المهلب، فلما ملكت أمرك نبذت طاعتي وراءك، واستبددت برأيك فولّيت المهلب الجباية، وولّيت أخاك حرب الأزارقة، فقبح الله هذا رأيا! أتبعث غلامًا غرًا لم يجرب الأمور والحروب وتترك سيدًا شجاعًا مدبرًا حازمًا قد مارس الحروب ففلج فشغلته بالجباية؟ أما لو كافأتك على قدر ذنبك لأتاك من نكيري ما لا بقية لك معه؟ و لكن تذكرت رحمك فكفتني عنك، وقد جعلت عقوبتك عزلك والسلام[٣]

العلم:

يقول البطّاشي: "بالإضافة إلى ما اشتهر به المهلب من الشجاعة والإقدام

١) المصدر نفسه، ص ٢٧.
٢) المصدر نفسه، ص٤٣.
٣) المصدر نفسه، ص ٤٧.

والحنكة السياسية في تدبير الحروب وإيقاع المكائد في أعدائه، فهو إلى جانب ذلك معدود من رجال الحديث، فقد ترجم له الحافظ في الإصابة وفي تهذيب التهذيب، وقال عنه: "المهلب بن أبي صفرة أبو سعيد البصري روى عن عبدالله ابن عمرو بن العاص وابن عمر وسمره بن جندب والبراء بن عازب وعن من سمع من الرسول."[١]

البلاغة:

"قيل للمهلب: بم نلت ما نلت، قال: بطاعة الحزم ونسيان الهوى"[٢]. يقول المهلب: "يعجبني الرجل أن أرى عقله زائدًا على لسانه". وقال الحجاج للمهلب: "أنا أطول أم أنت؟ فقال: الأمير أطول وأنا أبسط قامة". يقول ابن خلكان: "للمهلب كلمات لطيفة وإشارات مليحة تدل على مكارمه ورغبته في حسن السمعة والثناء الجميل، فمن ذلك قوله: الحياة خير من الموت، والثناء الحسن خير من الحياة، ولو أعطيت ما لم يعطه أحد لأحببت أن تكون لي أذنا أسمع بها ما يقال فيّ غدًا إذا متُّ". وكان يقول لبنيه: يا بني أحسن ثيابكم ما كان على غيركم، وإلى هذا أشار أبو تمام فيما كتبه إلى من يطلب منه الكسوة:

فأنت العليم الطَّب أي وصية بها كان أوصى في الثياب المهلب[٣]

الكرم:

يقول الشاعر الأخنس الطائي:

نـزلـت عـلـى آل المـهـلـب شـاتـيًـا بعيدًا عن الأوطـان في الزمن المحل

فما زال بي معروفهم وافتقادهم وبـرّهـم حـتـى حسبتهم أهـلـي[٤]

١) المصدر نفسه، ص ٢٨.
٢) المصدر نفسه، ص٧٤.
٣) المصدر نفسه، ص ٧٦.
٤) المصدر نفسه، ص ٧٦.

الخاتمة:

تمثّل كتابات الشيخ سيف بن حمود البطّاشي مجالاً خصبًا للباحثين؛ لما تثيره من نقاش ونقد وتحليل. وقد ناقش الشيخ في كتاباته عن المهلب أهم القضايا الإشكالية عن حياته ونسبه، ولم تكن غاياته استقصاء أحداث حياته ومعالم شخصيته. واتّضح من خلال البحث قوة العناصر التي اعتمد عليها الشيخ البطّاشي في إثبات عمانية المهلب وأبنائه، وقوة الدليل والحجة التي اعتمدها في إثبات أنه ليس من دبا؛ إذ يرى الشيخ البطّاشي أن المهلب ووالده من أدم، وأن البوسعيديين هم امتداد المهالبة في عمان. وأثبت الشيخ البطّاشي رغبة المهلب في الابتعاد عن الفتن، وذكر أهم العناصر التي تتسم بها شخصيته. ويميل الشيخ البطّاشي في أسلوبه إلى الاستطراد، فيذكر الحوادث التاريخية، ويستطرد أحيانًا في التراجم والمقطوعات الأدبية. ويوصي البحث بضرورة العناية بكتابات الشيخ البطّاشي، وإعادة طباعة مؤلفاته التي نفدت من الأسواق منذ زمن. كما يوصي بضرورة تكريم شخصية المهلب بتسمية بعض معالم البلد الحضارية باسمه.

المراجع:

١. البطّاشي، سيف بن حمود، الطالع السعيد: نبذة من تاريخ الإمام أحمد ابن سعيد، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، مسقط، ط١، ١٤١٧/١٩٩٧م.

٢. البطّاشي، سيف بن حمود، تاريخ المهلب القائد وآل المهلب، د.ت.

٣. البطّاشي، سيف بن حمود، إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، ج١، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، ط١، ١٤١٣/١٩٩٢م.

٤. مجموعة مؤلفين، الموسوعة العمانية، مجلد٥، مسقط، وزارة التراث والثقافة، ط١، ١٤٣٤/٢٠١٣م.

٥. المعولي، محمد بن عامر، قصص وأخبار جرت في عمان، تحقيق سعيد ابن محمد الهاشمي، مسقط، وزارة التراث والثقافة، ط٢، ١٤٣٥/٢٠١٤م.